جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
الملتقى الوطني: " التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي ما بين القرنين16و20م "
يومي : 15-16 /أكتوبر/ 2017 .
الأسم واللقب: منادي عثمان.
الوظيفة .أستاذ
الدرجة العلمية:أستاذ محاضر ب
مؤسسة العمل : جامعة سوق أهراس
الكلية: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
القسم:.العلوم الأنسانية
رقم الهاتف والفاكس:0669953011- فاكس 037722115
البريد الإلكتروني: menadi_athmane@yahoo.fr

محور المداخلة: مظاهر التبادل الحضاري بين الجزائر و بلدان الساحل الإفريقي مابين القرنين 16و20م.

عنوان المداخلة: التبادل العلمي بين المغرب الأوسط (الجزائر) و حواضر إفريقيا جنوب الصحراء في .

مقدمة

لقد هيأ الإسلام للقارة أن تتصل بحضارات جديدة في وقت مبكر و جعل المجتمع الإفريقي منتسبا إلي المجتمع العالمي الإنساني يؤمن بالقيمة الإنسانية و المساواة و يحث علي التعاون و التعاطف و العمل و العلم وقد احدث الدين الإسلامي نشاطا ثقافيا عظيما .

فأتاح للمناطق المختلفة صلات التزاوج و الجوار و الثقافة و حمل اللغة العربية على الانتشار في أوسع نطاق و لقد ظلت المدارس القرآنية و اللغة العربية في غرب إفريقيا نبراسا لتقاليد اجتماعية وأمجاد أصيلة أمدت المفكرين الإفريقيين بمادة أصيلة عن أمجادهم التاريخية واعتبروها جزءا من تراثهم الذي لا ينفصل عن تاريخهم[1] .

لعبت حواضر المغرب الأوسط (الجزائر) دور لا يمكن إغفاله في نقل المؤثرات العربية الإسلامية إلى شعوب غرب إفريقيا وتم ذلك عن طريق الصحراء الكبرى التي لم تكن عاملا من عوامل الانفصال بقدر ما كانت حلقات الاتصال الثقافي والحضاري بين المناطق الواقعة في شمالها وبين المناطق الواقعة إلى جنوبها في بلاد إفريقيا جنوب الصحراء [2].

وتطورت الروابط العلمية والثقافية بانتقال التجار والدعاة والفقهاء الذين كان يدفعهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من حمر النعم" إلى عمق أقاليم غرب إفريقيا وحواضرها المترامية الأطراف المتباعدة المسافات المتنوعة الأجناس و القبائل والأعراف وكان من هذه الحواضر (بير) التي كانت مأوى العلماء قبل أن تبنى تنبكت ، إذ يؤكد المؤرخ السعدي ذلك بقوله "وسكن بير الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل البلاد من أهل مصر و أوجلة و فزان و غدامس وتوات، ثم انتقل الجميع إلى تنبكت قليلا قليلا "[3] والباحث في تطور االعلاقات بين المغرب الأوسط وإفريقيا جنوب الصحراء يجد أن فترة الازدهار تمتد بين القرنين الثامن

---

[1]. نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،1974. ص08 .

[2]. جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية –دار الفكر 1416هـ/1996م ، العلاقات العربية الإفريقية –دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار-القاهرة -1977،ص 29.

[3] . عبدالرحمن السعـدي (:ت1065 هـ / 1655م)تاريخ السودان –وقف على طبع هوداس-مكتبة أمريكا والمشرق – باريس ، ص21.

والعاشر هجري/ والرابع عشر والسادس عشر ميلادي حيث كانت السفارات إلى توات وتلمسان وبجاية « Bijayya » تتجه نحو تنبكت في مالي ، وغاو في سنغاي [1] .

وقد ساهم الجزائريون في إطلاع العالم على ما كان يجري في السودان الغربي ، فخلال القرن الخامس عشر ميلادي كان الجغرافيون والمؤرخون المسلمون الذين جاءوا من مناطق االمغرب و الأندلس ومصر وشبه الجزيرة العربية ، هم من كتبوا عن إفريقيا جنوب الصحراء ، باللغة العربية حيث تعد المعلومات التي أوردوها حقائق محايدة و" إن كانت مجزأة جدا وتقتصر على بلدان العبور - limitro- من الصحراء أو من الساحل الشرقي لأفريقيا "[2] .

وبأتي بحثي هذا لأوضح أهمية **التبادل العلمي بين المغرب الأوسط (الجزائر) وحواضر إفريقيا جنوب الصحراء** ودور هذا التواصل والتأثير في تعميق روابط الاتصال الذي ساهم بشكل فعال في نقل قواسم مشتركة دفعت المنطقة إلى الخروج من ظواهر طالما ارتبطت بالفرد الأفريقي الذي وصفه المستكشفون الأوربون بأنهم يشبهون البشر.

---

[1] . Sambre, Bakary (IEP. Institut d'études politiques. Lyon. France): L'Islam dans les relations Arabo-africaines. *www.arabpsynet.com.17.12.2010*

[2] . Maurice DELAFOSSE: LES NOIRS DE L'AFRIQUE. Collection Payot, Payot et Cie, Paris, 1922. Édition numérique réalisée le 11 avril 2010.p24.

المبحث الأول: التبادل العلمي بين المغرب الأوسط وبلدان الساحل الأفريقي:

كانت العلاقات في جميع الأوقات بين إفريقيا جنوب الصحراء، وما يسمى عند هيرودوت ليبيا أو التي نسميها الساحل البربري (طرابلس، تونس، الجزائر، المغرب) تتم عبر الصحراء لتبادل غبار الذهب – التبر- بمواد أخرى [3].

لقد زاد التبادل العلمي، وقويت العلاقات الثقافية بين المغرب الإسلامي وغرب إفريقيا أكثر بعد قيام دول مستقلة ، وأخذت الصلات الحضارية تزداد ، ومعرفتهم بتلك الأقاليم البعيدة تتسع.

ومع ازدياد الرحلات وتواتر الروايات من المشاهدة بفضل الرحالة ، ومن السماع به بما ينقل عمن لم يشاهدوا ، ومن المبالغات والتهويل في أدب العجائب والغرائب الذي اقترن بأدب الرحلات والأسفار.

فالأرضية التي نمت عليها الصلات الجزائرية مع غرب إفريقيا هي أولا أرضية الصلات التي كانت تربط بين أجزاء تلك المنطقة قبل انتشار العرب وظهور حضارتهم مع الإسلام ، ومهد ذلك إلي تلاحم حضاري و تداخل عرقي بين مجموعات السكان من شمال القارة إلي المناطق الاستوائية .

وربما هذا التداخل ما جعل المؤرخين يذهبون إلى أن بعض الأسر الحاكمة في غرب إفريقيا أصلها من الشمال مثل أسرة ضياء في سنغاي ، فكان البدو والرعاة المتجولون في الصحراء الوسطاء الأساسيون في حركة الاتصال بين شمال و جنوب الصحراء [1] .

يمتد التأثير المغاربي المباشرعبر عدة قرون من (182 هـ /788 م) مرورا بدولة المرابطين التي كان لها الفضل في نشر الإسلام وحضارته على الساحل الإفريقي والغربي لبلاد السودان [2] ، إلى دولة الموحدين والزيانيين.

وتعمقت الروابط الاجتماعية بهجرة البربر وتمت التجارة ، ونشطت القوافل عبر الصحراء ، ونشأ جيل جديد كان له الفضل في قيام إمبراطورية إسلامية سودانية واسعة [3].

---

[3] . Maurice DELAFOSSE .Op.Cit.P26.

1 رولاند أوليفر ، جون فيج : تاريخ إفريقية ، ت عقيلة محمد رمضان ، ط1 ، الدرار القومية للطباعة والنشر ، دون تاريخ ، ص 16 .

2 . حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ،مكتبة النهضة العربية ،ط3، 1984،ص17.

3 . عبد الرحمان ابن خلدون :المصدر السابق ،ص181 .

إن التبادل العلمي والثقافي بين (المغرب الأوسط) – الجزائر- وغرب إفريقيا التي كانت تعرف بالسودان الغربي لم تبدأ مع المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي التي عمقت انتشار الإسلام في هذه البلاد كما هو مشهور بل إن الصلات المتنوعة كانت موجودة قبل عهد المرابطين بما لا يقل عن أربعة قرون .

بل إن هذه العلاقات لها جذور تاريخية ترتبط بظهور الإسلام في شمال إفريقيا ثم الأندلس ، بل يرجع بعض المؤرخين هذه العلاقات إلى عهد عقبة بن نافع سنة 50 للهجرة .

ويذكر ابن عذارى أن عقبة انحدر في حملته الثانية من بلاد المغرب إلى السودان وفتح كورة من كور السودان وبني مساجد في هذه البلاد[1] ولعل هذا الرأي مبالغ فيه بالنظر إلى الأحداث التاريخية التي طبعت فتح شمال افريقيا والأندلس ، ولكن ذكر المصادر لهذا الحدث يدل على معرفة المسلمين بتلك البلاد ورغبتهم في نشر الاسلام فيها .

وتزداد الروابط العلمية والاتصال الثقافي في عهد موسى بن نصير [2] الذي ولى طارق بن زياد إمارة طنجة بالمغرب وانزل معه سبعة آلاف من العرب ،و اثني عشر من البربر ، و أمرهم بان يعلموا البربر والمسلمين السودانيين المجاورين لهم القرآن والفقه [3] وذلك في الربع الأخير من القرن الأول الهجري ثم توالت الاتصالات والروابط بين المسلمين وسكان غرب إفريقيا وخاصة المدن القريبة من المناطق الأولى التي استوعبت الدعوة الإسلامية و من هذه المدن أودغشت إذ يبين المؤرخون أنها اقرب الأماكن الإسلامية إلى بلاد السودان الغربي وأنها مدينة كبيرة بها مساجد يوجد في جميعها المعلمون الذين يقومون بتعليم التلاميذ القرآن الكريم وان فيها علماء فاقو في علمهم عبد الله بن ياسين فقيه المرابطين [4].

ويشير ابن خلدون إلى دور المرابطين في نشر الإسلام وثقافته عندما يقول :

" واسلم الملثمون واتحدوا تحت لواء الاسلام وأرسلوا الدعاة إلى بلاد الإسلام ينشرون الاسلام وثقافته[5] كما يعزى إليهم تأسيس مدينة تنبكت التي أصبحت من أعظم الحواضر

---

[1] . ابن عذارى المراكشي:البيان ا لمغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،تحقيق ومراجعة ج س كولان و إ ليفي بروفنسال ج1،ط3، دار الثقافة ،بيروت ،لبنان 1983م ،ص28.

[2] . YATTARA El mouloud : L’islam et les voies de sa diffusion au Mali du VIIIème au XVIème siècle. P02.www. histoire-afrique.org

[3] . عبد الرحمان ابن خلدون: العبر، المرجع السابق، ص144 .

[4] . البكري : المصدر السابق، ص157 .

[5] . عبد الرحمان ابن خلدون :نفس المصدر ،ص181 .

الإسلامية التي بثت الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السودان الغربي.

وفي عهد الموحدين* كان تأثيرهم على الحياة العلمية والثقافية اقوي، ويعود هذا أساسا إلى اهتمامهم ببناء المساجد وأماكن العلم في المغرب الإسلامي والأندلس ومن ثم انتقل تأثيرهم إلى أقاليم غرب إفريقيا.

فامتدت الثقافة الإسلامية وانتشرت المراكز العلمية من طرابلس شرقا حتى غانة و إلى قلب القارة الإفريقية ، وكان للموحدين فضل كبير في نشرها [1].

ومما لاشك فيه أن الوضع الجغرافي للصحراء الكبرى و امتداداها الطبيعي للشمال الإفريقي قد ساعد على تطعيم و تغذية الجو التعليمي بما يحمل الرحالة من أنباء و أفكار عن العلم و العلماء و الكتب و التأليف الجديدة و حلقات التدريس و المناظرات التي تؤكد مدى التواصل الفكري والتتبع الدقيق لكل ما هو جديد و لاشك أن شعوب غرب إفريقيا اتبعت المذهب المالكي محمولة أصلا إلى التطلع للشمال الإفريقي ذي المذهب المالكي بدل المشرق وكذالك الحال بالنسبة للكتب والمؤلفات التي كانت تدرس حيث تبنوا نفس النسق المنهجي للتعليم بأصنافه وان الكتب المغربية أو التونسية كانت معروفة لديهم [2] .

وكان لتشجيع العلم من جانب حكام المغرب الإسلامي ، تأثير غير مباشر في انتقال هذا الاهتمام إلى أقاليم غرب افريقيا فقد وصف ابن بطوطة هذا التشجيع عندما يتكلم عن الحكام "كان يحضرون مجلس الفقهاء والقضاة " [3] .

ويزداد التبادل العلمي بين المغرب الأوسط – الجزائر - وغرب افريقيا بتأصل الاسلام وانتقاله الى مختلف ميادين الحياة ويبدو هذا واضحا في عهد مملكة مالي وسنغاي فالمدارس في غرب افريقيا كانت تشبه المدارس الجزائرية من حيث الوسائل وطرق الكتابة والخط فقد جاء كتاب من سلطان مالي الى الحضرة السلطانية بمصر، وهو بالخط المغربي في ورق عريض[4] ولا يبدو هذا غريبا بالنظر الى العامل الجغرافي والتاريخي في علاقات

---

* دولة الموحدين عام (1121-1269)امتد نفوذها وتمكنت من توحيد المغرب الإسلامي والأندلس كان ابن تومرت(1121/-1129) مؤسسها وعبد المؤمن بن علي قائدها العسكري.

[1]. حسن إبراهيم حسن:المرجع السابق، ص18 .

[2] . عبد الجليل التميمي : الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ، ووسط و غرب إفريقيا خلال العصر الحديث ، مجلة المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، تونس 1985 . ص 67.

[3]. ابن بطوطة :المصدر السابق ،ص646-647.

[4] . ابن فضل الله العمري :المصدر السابق، ص74.

المنطقتين التي تعود الى القرن الخامس الهجري /الحادي عشر ميلادي ، لذا نجد ان سلاطين الممالك الاسلامية في غرب افريقيا كانوا يرسلون الطلاب إلى مدن المغرب الإسلامي بهدف التحصيل العلمي ، وفي عهد السلطان المالي منسى موسى اشتهر فقيه (كاتب منسى موسى) الذي أرسله السلطان ليتابع حلقات العلم ، ثم رجع الى بلاده وقد تمكن من مادته العلمية ، وبدأ يدرس في المدارس السودانية [5].

[5] . عبد الرحمان السعدي:المصدر السابق، ص57.

المبحث الثاني : أشهر علماء المغرب الإسلامي في بلدان الساحل الأفريقي :

إن اثر الصحراء في الوصل بين المناطق الواقعة على أطرافها يشبه من بعض الوجوه اثر البحر، الواحات فيها كالجزائر، و القوافل كالسفن و على أطراف الصحراء تظهر الحاجة إلى قيام المدن حيث يتم تبادل السلع و الأخبار ومعها العلوم و الكتب و الثقافات [1] .

ومن تلمسان [2] وبجاية ومناطق توات إنطلقت مراكز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط على السودان الغربي ، إذ أنها تمثل إحدى أهم العواصم التاريخية و الحضارية منذ الفتح الإسلامي ، فقد عرفت الحركة الفكرية بها نشاطا هاما ومنها بدا نشر علوم الإسلام [3] .

إن العامل الجغرافي كان له الفضل في تدفق العلماء والفقهاء الى حواضر السودان الغربي ، لتعليم وتثقيف المسلمين فيها ، فسارع أبناء السودان الغربي لتلقي العلم خاصة من المشاهير علماء المغرب الاسلامي ، فكان حكام المغرب الاسلامي يسعون للمحافظة على علاقات حسن الجوار مع ملوك السودان [4].

وإذا كان دور هؤلاء العلماء والفقهاء خلال القرون الاولى التي تسرب فيها الاسلام الى غرب افريقيا يكمن في نشره ، فإنه خلال فترة هذه الدراسة ،لم يكن نشرا ابتدائيا للإسلام، بل تركز حول تصحيح العادات والتقاليد والمفاهيم الخاطئة ، وتعمق معانيه ،ومحاربة البدع والخرافات .

ساهم العديد من الدعاة والعلماء المغاربة في تكوين نماذج لهم في الحواضر السودانية ، الذين انتقلوا بدورهم الى القرى والأرياف وساهموا بشكل فعال في التدريس تعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن ،وهو ما يفسر الانتشار الواسع للكتاتيب .

وقد أشار كعت في كتاب الفتاش الى عمق الصلاة العلمية بين المغرب والسودان الغربي وذكر أن عددا كبيرا من العلماء ترجع أصولهم الى المغرب وفي ذلك يقول : "فأعلم أن "شى" و "أسكي " و"مور " هو "كار " جد أهل "موركير "وفقهائها كلهم من

---

[1]. عبد العزيز كامل : العروبة و الحضارات الإفريقية في منظور جديد ، مجلة الدراسات الإفريقية ، العدد الثالث ، القاهرة، 1396هـ / 1972.

[2] . محمد عبد الكريم المغيـلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي-تحقيق عبد القادر زبادية، المطبعة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1974.ص 49.

[3] . الجيلالي شقرون : تلمسان مركز حضاري في المغرب الأوسط ، مجلة الفقه و القانون ، ص01 ، www.majalh.ne

[4] . دهينة عطا الله : العلاقات التجارية بين المغرب والسودان مجلة الاصالة العدد 26 ، دون تاريخ ، ص 101.

من أهل واحد ، وجميع من بلقب "بمي " و"كيهدع " و "مينك " و"ميهو " و" ميكع " و "سيفر " و "ميتاحي " و"ميعي " و"ميور "و"شرع " واسم بلدهم "يد" وكل من كان في هذا الإقليم أصلهم من المغرب من وعكري "[1] .

وتبدوا هذه الأسماء للوهلة الاولى سودانية ، لكن كثير من الألقاب البربرية هاجرت من المغرب الى السودان الغربي بلغ علماء البلاد الاسلامية مكانة مرموقة في مملكة مالي وسنغاي ، حتى حرص بعض ملوك مالي على الانتساب الى الأصول العربية فقد ادعى بعضهم أن أصله من البيت العلوي من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب [2].

كما وصف ابن بطوطة ملك مالي منسى موسى انه صديق للبيض فيقول " يحب البيضان ويحسن إليهم "[3] بل وأشار انه صادف الكثير من المغاربة و منهم من استضافه في بيته ، ثم يذكر مجموعة من الفقهاء والعلماء والقضاة المغاربة مثل سعيد بن علي الجزولي ، والقاضي أبو إبراهيم الجاناتي ، وجعفر بن محمد المسوفي [4]وجدهم في مدينة تكدا كما يقول :وقد ذكرت كتب التراجم مثل السعدي وكعت وأحمد بابا التنبكتي الكثير من العلماء والفقهاء والقضاة نذكر أشهرهم فقط منهم :

1)القاضي الفقيه الحاج عبد الرحمان: وهو من قبيلة جدالة المغربية ،وجد القاضي عبد الرحمان بن أبي بكر تولى القضاء في أواخر حكم دولة مالي في مدينة تنبكت وخطب ودرس في مسجد سنكري ، حيث تحول الى جامعة كبيرة آنذاك في غرب افريقيا ، وحاضرة من حواضرها الكبرى كان الفقيه الحاج خطيبا وصاحب قرار يقول عنه السعدي: "أول من أمر الناس بقراءة نصف حزب القرآن في جامع سنكري بعد صلات العيد وبعد صلات العشاء "[5] وقال أن له قبر في المدينة أصبح يزار من طرف محبيه وتلاميذه

---

[1] . محمود كعت : محمود كعت (بن الحاج المتوكل كعت الكرني التنبكتي الوعكري):ت925هـ / 1519م ، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس –طبع هوداس ودولافوس 1964.، ص 48.

[2] . القلقشندي : المصدر السابق ،ج 1 ، ص 286 ، عبلة محمد سلطان ، المرجع السابق، ص 144 .

[3]. ابن بطوطة: ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي) 704هـ-779هـ/1304-1377م-رحلة ابن بطوطة (المعروف بـ: تحفة النظار في غرائب الأمطار)دار بيروت للطباعة والنشر –بيروت -1400هـ/1980م ، ص689 .

[4] . نفس المصدر ، ص 696.

[5] . **عبد الرحمان** السعدي : المصدر السابق ، ص 27.

2- محمد بن عبد الكريم المغيلي (909ه/1503م) :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني ينسب الى مغيلة قبيلة من فرع صنهاجة استقرت في الغرب الجزائري (تلمسان وضواحيها) ،ولد بتلمسان من عائلة راقية النسب ومشهورة بالعلم والدين ،حفظ القرآن على يد والده ، قرآ عليه موطأ مالك ثم درس على يد علماء آخرين التفسير والفقه المالكي وكتب السيرة

قال عنه أحمد بابا التنبكتي[1]: بلغ الغاية في العلم والنهاية في المعارف الإلهية وارتقى مراقي الزلفى ورسخ قدمه في العلم .

ارتحل عبد الكريم المغيلي الى تونس وأقام بها شهرين ثم قدم القاهرة فحج منها الى مكة ، ثم الى الشام حيث زار القدس [2].

رجع بعدها إلى بجاية ، واخذ من علمائها التفسير و الحديث و الفقه حيث كانت بجاية في ذلك الوقت إحدى حواضر العلم والثقافة العربية الاسلامية .

عاش الإمام المغيلي في فترة شهدت بروز العديد من العلماء والمفسرين والفقهاء والادباء والشعراء مما جعله يستفيد من علمهم ونصائحهم كما كانت له مراسلات ومناظرات مع الامام السيوطي ، نقلها صاحب كتاب "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان[3] .

رحل المغيلي الى إقليم توات ولا يعلم سبب ارتحاله رغم أن الكتابات التاريخية تشير الى انزعاجه من سلوك سلاطين تلك الفترة الذين كانوا يحكمون تلمسان وبجاية وسخطه عليهم وهو المعروف بحدته وشجاعته في محاربة الفساد وقد احتضنته إحدى قبائل منطقة توات ،ومارس مهمة الدعوة الاسلامية والإصلاح وهناك وقعت ما تعرف بنازلة التوات المتعلقة باليهود حيث وقف في وجه أطماعهم الدينية ببناء المعابد والسيطرة على التجارة .

فأصدر الإمام المغيلي فتوى تدعوا الى محاربتهم [4] وتدمير كنائسهم وكسر شوكتهم

---

[1] . أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ج2 ، ص 181.

[2] . شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج10، ط1 ، دار الجبل 1412هـ/1992م ، ص 740.

[3] . أبن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني :البستان في ذكر الاولياء ، والعلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات ، الجامعية ، الجزائر ، دون تاريخ ، ص 254

[4] . محمد عبد الكريم المغيلي : أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي تحقيق عبد القادر زبادية ، الشركة الوطنية ، للنشر والتوزيع ،الجزائر 1974،ص08.

انتقل المغيلي من توات الى بلاد السودان الغربي فكانت رحلته القصد منها العمل على نشر قواعد الاسلام في تلك البلاد ، وأصبح من اكبر العلماء وألف عشرات الكتب والشروح ، وأخضع المعارف الاسلامية في بلاد السودان للنقاش والحوار واهم بدفع طلابه زملائه من العلماء الى الاحتكام الى القرآن والسنة [1].

اجتمع الإمام المغيلي مع سلطان سنغاي أسكيا الحاج محمد الذي ربطت بينهما علاقات وثيقة في مسائل الدين والسياسة [2]، وكتب له وصية عظيمة بمثابة دستور ، وضع له فيه القواعد الشرعية ،وكيفية تطبيقها على الرعية ، وحضه فيها على إتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فألف كتابا أجابه فيما سأل .

ثم بلغه وهو في غاو نبأ قتل والديه بتوا على يد اليهود فانزعج لذلك طلب من اسقيا الحاج محمد القبض على اهل توات ممن في غاو ولمنزلة المغيلي لدى الاسكيا فقد قبض عليهم لساعته فقد كان ملوك سنغاي يسعون لنيل رضا رجال الدين والعلماء[3] لكن الفقيه أبا المحاسن محمود بن عمر أقيت أنكر على الأسقيا ما فعل لان أهل توات بغاو لم يفعلوا شيئا ،فرجع الاسكيا عن القرار واطلق سراحهم [4] .

ورحل المغيلي إلى توات وبقي وفيا لطلبة العلم حيث قصده الطلبة ولم يبخل عليهم رغم كبر سنه الى ان توفي سنة (909ه/1503م)ودفن في ادوار [5].

كان تأثير المغيلي محفوظا لدى أبناء السودان الغربي وظلت أعماله وآثاره المكتوبة والروايات الشفوية المنقولة عنه يحفظها الطلبة والعلماء وكانت الفتاوى التي أصدرها حجج لدى المتخاصمين ومن الملاحظ ان انتقال المغيلي الى السودان الغربي كان له اثر طيب في تصحيح بعض الأوضاع التي شكا منها اسقيا محمد ،كما كان له اثر طيب عند الفقهاء فعادوا إلى ممارسة دورهم في القضاء على مظاهر الشرك والوثنية [6] .

---

[1] . أحمد إبراهيم دياب : المرجع السابق ،ص 148 .

[2] . Maurice DELAFOSSE: LES NOIRS DE L'AFRIQUE. Collection Payot, Payot et Cie, Paris, 1922 . Édition numérique réalisée le 11 avril 2010.p57.

[3] . عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي ، في عهد الاسيقيين .، مجلة الاصالة ، العدد 58 ، 1978، ص 31

[4] . عبلة محمد سلطان: العناصر المغاربية في السودان الغربي-دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاة دولة سنغاي-رسالة دكتوراه-مركز البحوث والدراسات الإفريقية- جامعة القاهرة -1999.، ص 130.

[5] . حسن عبد الخالق : الإمام المصلح ، محمد بن عبد الكريم المغيلي ، الملتقى المغربي للقرآن الكريم ، .10.11.2010.www.maroco-quran.com

[6] . عبلة محمد سلطان : المرجع السابق ،ص 130.

3) الفقيه محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي :

ينسب إلى تازخت وهي إحدى القرى القريبة من ولاته وتعلم فيها حفظ القرآن ، ثم رحل الى تكدا ودرس الفقه والحديث على يد علمائها منهم الفقه أحمد بن عمر أقيت وحضر دروس المغيلي أثناء زيارته لتكدا [1] ثم أخذ يطوف بالبلاد الاسلامية .

التقى كثير من العلماء ثم قفل عائدا بحصيلة من العلم والدين ليعلمها لأبناء السودان ، فقام ببلدة كاتسينا ، حيث ينسب إليه تأليف كتاب "مقاليد وطرز على مختصر خليل وغيره [2] و ولاه حاكم المدينة القضاء [3] ،أثنى عليه احمد بابا في كتابه ووصفه بالثاقب العبد العالم ،توفي التازختي عام (936ه/1529م [4] .

4- العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي :

أصله من قبيلة مسوفة ،الصنهاجية من قرية أنصمن إحدى نواحي تكدا قال عنه أحمد بابا : هو من الفقهاء المختصين له اجتهادات فقهية خالف لم يسبقه فيها غيره ، اخذ العلم عن الإمام المغيلي وعن السيوطي وغيره لما قام برحلة الى الحج.

له عدة مؤلفات منها "نية الحالف" و"الجواب المحدود عن أسئلة القاضي محمود " و" أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير [5] وكان له منازعات مع الفقيه البلبالي ،وكان حيا قريبا من الخمسين وتسعمائة 950ه/1443م [6] .

5)الفقيه عبد الله بن احمد الزموري :

نشط الفقهاء في عقد اللقاء بينهم ، وإقامة حلقات المناقشة والارتحال لطلب العلم من بلد الى بلد وكان منهم الفقيه عبد الله بن أحمد الزموري وهو من أهل تنبكت، سافر الى ولاته،والتقى بعلماء الفقه فيها وهو من العلماء الذين انتفعوا من محمد المغيلي وأخذوا عنه [7] قام بالتدريس في ولاته ثم عاد الى تنبكت حاضرة السودان ا لغربي ، فألف مجلدا كبيرا

---

[1] . السعدي : المصدر السابق ، ص 39.
[2] . عبلة محمد سلطان : المرجع السابق ،ص 130.
[3] . احمد بابا : نيل الابتهاج ،المصدر السابق،، ج 2 ، ص 587.
[4] .عبد الرحمان السعدي : المصدرالسابق ، ص 40.
[5] . عبلة محمد سلطان ، نفس المرجع ، ص 131.
[6] . السعدي :المصدر نفسه ص 41 ، احمد بابا ، نيل الابتهاج ، ج 1، ص 399 احمد بابا ، كفاية المحتاج ، ج2 ، ص 294 .
[7] . عبلة محمد سلطان : المرجع نفسه ، ص 131.

بخط يده وهو شرح على كتاب الشفاء للقاضي عياض اعتنى فيه بتوضيح ألفاضه وتصحيح لغته ، وتعريف رحاله ، وكان يقرأه على طلابه في تنبكت [1] توفي عام 888ه/1483م

6- القاضي أبو المحاسن محمود بن عمر:

كان فقيها وإماما مشهورا في عصره عرف بنزاهته ومهابة السلاطين له فيزورونه في فتنة فلا يقوم لهم ولا يلتفت إليهم و يهادونه بالهدايا والصحف كان سخيا تولى القضاء سنة 904ه/1498م اشتهر بالحكمة والعدل والإنصاف قام بالتدريس فانتفع به بشر كثير منهم والد احمد بابا التنبكتي [2] وهو الذي اشتهر بموقفه من السلطان أسكيا محمد حين وافق المغيلي على سجن أهل توات الموجودين في غاو حين علم بمقتل ولده على يد اليهود هناك في توات اذ طالب السلطان بإطلاق سراحهم لأنهم لم يفعلوا شيء وهو ما تم بالفعل .

7)القاضي أبو حفص عمر :

من قضاة تنبكت بلغ في الفقه درجات عليا وتفوق على شيوخ عصره برع في علم الحديث والسير والتواريخ وأيام الناس حتى قال عنه بعض من عاصره من الشيوخ لو انه كان موجودا زمن أبي عبد السلام بتونس لاستحق ان يكون مفتيا [3]

8)صالح بن أند عمر المعروف باسم المعمري او العمري :

قال عنه السعدي انه مستحرم لدى السلاطين يشفع للمساكين عندهم ولا يردون شفاعته ،كان من اهل العلم والفضل والتقوى ألف شرحا على مختصر خليل [4] لم تذكر الروايات تاريخ الميلاد والوفاة لهذا الفقيه الصالح .

9) الفقيه فياض الغدامسي :

ينسب الى غدامس الليبية ، هاجرت أسرته واستقرت في السودان الغربي ،واشتهر هذا العالم بالعدل والاستقامة وتولى تزكية الشهود عند القضاة ،فمن شهد له بالعدالة اعتبر عادلا ومن لم يشهد له ألغيت شهادته مهما كانت شخصيته ،ولم يزل في ذلك المنصب حتى وفي سنة 988ه/1548م وحضر جنازته الفقيه والامام أندا غمحمد [5].

---

[1] . احمد بابا : نيل الابتهاج ، ج 1، ص 253 ، احمد بابا : كفاية المحتاج ، ج 1 ، ص178.

[2] . احمد باباالتنبكتي: نيل الابتهاج ، ج 1،المصدر السابق ، ج 1 ص 266.

[3] . السعدي : المصدر السابق ، ص 34.

[4] . البرتلي الولاتي : المصدر السابق ، ص 155،عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق،ص .36

[5] . السعدي : نفس المصدر ، ص 59

10- أبو القاسم التواتي :

وصفه السعدي بالشيخ الفاضل والامام الصالح ذو الكرامات كثير الصدقات ،ويعد من شرفاء إقليم تافيلالت بالمغرب الأقصى وكان الاسكيا محمد يصلي وراءه ويطلب دعاءه إنشاء مقبرة تنبكت الكبرى وعندما توفي عام 922ه/1516م كان يوجد في تلك المقبرة خمسون عالما من توات [1] .

الخاتمة :

وفي ختام هذا الفصل أسجل بعض الملاحظات :

أولا :إن تاريخ الصلات بين المغرب الأسلامي – الجزائر- وبلدان الساحل يعود الى قرون عديدة قبل ظهور الاسلام ، ويؤكد ذلك النقوش الصخرية التي أشارت إلى الطرق التي سلكتها القوافل واستمرت الاتصالات بعد انتشار الاسلام ،وقويت بعد ظهور الممالك الاسلامية ،وتعد الفترة بين القرنين (08-10ه/14-16م) الأوثق اتصالا فالصحراء لم تكن حائلا في وجه التبادل التجاري والثقافي.

ثانيا : ترتب عن هذا التبادل وهذه الصلات انتشار الاسلام في غرب افريقيا ،وأصبح الدين الرسمي لممالك كبيرة ، وعاملا مهما في الحياة السياسة والاجتماعية والثقافية، وصلة تاريخية بين العديد من الأجناس لفترة طويلة بين العرب وإفريقيا و العالم[2] . وهو ما ساهم في انتشار اللغة العربية ،والثقافة الاسلامية ،وازدهرت معها الحياة العلمية والثقافية التي هي محل دراستي

ثالثا :تعد الهجرات البشرية من أهم قنوات الاتصال بين غرب افريقيا وباقي الأقطار الإسلامية ، فالعديد من سكان هذه الأقاليم استوطن مدن السودان الغربي فحدث اختلاط بين عنصرين ،وتعداه الى المصاهرة والمعاملة الحسنة ،وهو ما كان عاملا إضافيا في ترسيخ تعاليم الدين الاسلامي الصحيحة ،التي شوش عليها عادات الأفارقة وتقاليدهم الوثنية

[1] . البرتلي الولاتي : نفس المصدر ، ص 69 ، السعدي : نفس المصدر ص 58.

[2] .Sambe, Bakary (IEP. Institut d'études politiques. Lyon. France): L'Islam dans les relations Arabo-africaines. *www.arabpsynet.com.17.12.2010*

رابعا:كانت رحلات العلماء والطلاب و الفقهاء الى الأقطار الإسلامية مثل: فاس وتلمسان والقيروان والقاهرة بدافع طلب المعرفة والإحاطة بالعلوم ولم يكن دافعهم المناصب او السياسة فمعظمهم من يعود الى مدينته ،وكانت وضيفته التعليم ونشر القيم الاسلامية ،ولذلك ظلت وفود العلماء والطلاب تنتقل عبر رحلات الحجيج او قوافل التجار على مدى العصور المتوالية ، وهذا الاتصال ضمن لحواضر غرب افريقيا على الأقل بين القرنين (08-10ه/14-16م)التواصل والتبادل العلمي والتطور الحضاري ولم يجعلها في عزلة وجمود

خامسا : نتج عن الرحلة في طلب العلم والتبادل العلمي بين أقطار العالم الإسلامي وحواضر غرب افريقيا تكوين كوكبة من الاساتذة والعلماء تميزوا بغزارة التحصيل وأصبحوا حجة في العلوم النقلية والعقلية وألفوا الكتب وعقدوا الحلقات وخطبوا في المساجد وأشاروا على حكامهم وأمرائهم في مسائل الحكم و الحكمة .

سادسا : تبين في البحث أن الفقهاء والعلماء المغاربة طوروا في العملية التعليمية وألفوا الكتب وشيدوا المساجد وبنوا المدارس ، فكان لهم الفضل في نشر العلم والثقافة العربية الإسلامية، وتقلدوا المناصب في الدولة أهمها منصب القضاء، وحولوا بعض المراكز الثقافية إلى منارات علمية في المنطقة تشع منها الثقافة العربية الإسلامية أشهرها جامعة سنكري في تنبكت تم تأسيسها سنة 854هـ/1450م والتي أصبحت تضاهى في مستواها العلمي القرويين بفاس والأزهر بمصر.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة :

- السعـدي (عبد الرحمان بن عبد الله):ت1065 هـ / 1655م)تاريخ السودان –وقف على طبع هوداس-مكتبة أمريكا والمشرق –باريس .

- -ابن خلدون: (عبد الرحمان): 732هـ-808هـ/1332م-1406م : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ج6،ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1421ه/2000م

- حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ،مكتبة النهضة العربية ،ط3، 1984.

- ابن عذارى المراكشي:البيان ا لمغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،تحقيق ومراجعة ج س كولان و إ ليفي بروفنسال ج1،ط3، دار الثقافة ،بيروت ،لبنان 1983م.

-المسعودي: (أبي الحسن علي بن الحسن بن علي): ت 346هـ/ 957م : مروج الذهب ومعادن الجوهر-ج2-دار الأندلس-بيروت ط4، 1401هـ/1981.

- المقريـزي: (تقي الدين ابي العباس أحمد بن علي): 845هـ/1441م : السلوك لمعرفة دول الملوك-ج2 تحقيق محمد عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية - بيروت - 1418هـ /1997م.

- ياقوت الحموي (شهاب الدين ابو عبد الله) ت626هـ /1299م : معجم البلدان –دار الكتب العلمية- بيروت-1990.

اليعقوبـي: (أحمد بن يعقوب بن جعفر بن حياة واضح)ت 626هـ/ 1299م : - تاريخ اليعقوبي –ج1-دار صادر –بيروت-(دون تاريخ الطبع) - البلدان.(ملحق من كتاب ابن رستة " ابي أحمد بن عمر بن رستة ": الأعلاق النفيسة) طبع مدينة ليدن - بمطبع بريل - 1891م .

- أحمد بـابا التنبكتـي:(ابو العباس سيدي احمد بن احمد بن احمد بن عمر بن محمد أقيت) 1036هـ / 1626م.

- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج (جزئين)- تحقيق علي عمر،ط1،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1422/2004.

-كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج،دراسة وتحقيق محمد مطيع ،ط1،وزارة الأقاف و الشؤون الدينية،المملكة المعربية،1421هـ/2000م.

-22-التونسـي (محمد بن عمر):ت1222هـ / 1807م : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان حققه: ظليل محمد عساكر مصطفى محمد مسعد وراجعه مصطفى زيادة- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر-الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1965.

- الخطيب البغدادي : تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم .تلخيص وترتيب سامي الصقار . ط1. دارالمريخ .الرياض 1401 – 1981

- محمود كعت (بن الحاج المتوكل كعت الكرني التنبكتي الوعكري):ت925هـ / 1519م : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوس وأكابر الناس –طبع هوداس ودولافوس 1964.

- عبد الجليل التميمي : الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ، ووسط و غرب إفريقيا خلال العصر الحديث ، مجلة المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، تونس 1985 . ص 67.

3. ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي) 704هـ-779هـ/1304-1377م : رحلة ابن بطوطة (المعروف بـ: تحفة النظار في غرائب الأمطار) ، دار بيروت للطباعة والنشر –بيروت -1400هـ/1980م.

- محمد عبد الكريم المغيـلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي-تحقيق عبد القادر زبادية، المطبعة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1974.

- عبد العزيز كامل : العروبة و الحضارات الإفريقية في منظور جديد ، مجلة الدراسات الإفريقية ، العدد الثالث ، القاهرة، 1396هـ / 1972.
- نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،1974.
- مطير سعد غيث أحمد: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي (خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة/ السادس عشر والسابع عشر للميلادي) –ط1 دار الكتب الوطنية –بنغازي ليبيا 2005م.
- محمد محمد زينون : القيروان ودورها في الحضارة الاسلامية ط 1،دار المنار بالقاهرة 1408-1988.
- محمد الصالح حوتية : توات والازواد ،ط1 ،ج1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والتراجم ، القبة ، الجزائر، 2007
- محمد عبد الفتاح إبراهيم : افريقية من السنغال إلى نهر جوبا ، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1961،
- محمد فاضل علي باري سعيد ابراهيم كردية : المسلمون في غرب افريقيا تاريخ حضارة ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 2007

المراجـــع المعربـــــة

- أرنولـد تومـاس: الدعوة إلى الإسلام –ترجمة حسين إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين –واسماعيل النحراوي-مكتبة النهضة المصرية -1970.
- جوان جوزاف : الاسلام في ممالك وامبراطوريات افريقيا السوداء ، ترجمة مختار اليوسفس ، ط 1، دار الكتاب المصري ، القاهرة ،1984
- جوزفين كام : المستكشفون في إفريقيا ، ت السيد يوسف نصر ، ط1 ، دار المعارف ، 1983 دون مكان للطباعة
- فيليكـس ديبـوا: تنبكت العجيبة –ترجمة عبد الله عبد الرزاق إبراهيم-مراجعة شوقي عطا الله الجمل-المجلس الأعلى للثقافة –القاهرة-2003.
- كولين ماكيفيدي : أطلس التاريخ الإفريقي ، ت مختار السويفي ، ط1 الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987 ،

الرسائل العلمية

- أحمد بوعتروس : الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث عشر هجري ، التاسع عشر ميلادي ،ط1، دارالهدى الجزائر 2009
- عبلة محمد سلطان: العناصر المغاربية في السودان الغربي-دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاة دولة سنغاي-رسالة دكتوراه-مركز البحوث والدراسات الإفريقية- جامعة القاهرة -1999.
- مفتاح يونس رياض: العلاقات بين بلاد المغرب ودولة كانم –برنو، القرن السابع والعاشر الهجريين/الثالث السادس عشر الميلاديين رسالة دكتوراه، قسم التاريخ –معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة 2005/2004.

-المراجع الأجنبية

-Alfonse Gouilly : l’islam dans l’Afrique Occidentales française- paris 1952.
-Barth H : voyage et decouverte dans l’afrique septentrional et central pendants les années 1845-1855-Edition 1863-Paris.
-Basil Davidson : l’Afrique ancienne T1-francais maspero- Paris-1973.

-Baumann-westermann : les peuples et les civilisation de l'Afrique –paris 1928.

-Cheikh Awta diop : Nations negres et culture –paris -E. africainne 1995.

-Delafosse M : Traditions historique et légendaires du soudan accidental- paris 1973 (Traduit d'un manuscrit arabe)

-Delafosse M : haut senegal-niger paris 1912

-George peter mundock : its peoples and their culture history GRAW-HILLE –Book company –INC –New-York-1959.

-Herodote : histoire d'herodate t2-t4- paris 1970.

-Aboubakr Ismaïl Maïga.- La culture et l'enseignement islamiques au Soudan Occidental de 400 à 1100 h sous les empires du Ghana, du - - -Mali et du Songhay ; traduit par : Mahibou Sidi Mohamed en collaboration avec Diouldé Laya. Library of Congress - Edition 2003.

L'islam et les voies de sa diffusion au Mali du VIIIème au XVIème :YATTARAElmouloud siècle.www. histoire-afrique.org

1

- Maurice DELAFOSSE: LES NOIRS DE L'AFRIQUE. Collection Payot, Payot et Cie, Paris, 1922 . Édition numérique réalisée le 11 avril 2010.p57.

-Sambe, Bakary (IEP. Institut d'études politiques. Lyon. France): L'Islam dans les relations Arabo-africaines. *www.arabpsynet.com.17.12.2010*